بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة - 18 -

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ التسليم على سيّدنا وحبيبنا محمّد المصطفى الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

سبحانك لا علم لنا، إلّا ما علّمتنا، إنّك أنت العليم الحكيم، اللهمّ إنّي أتبرأ من حولي وقوّتي، إلى حولك وقوّتك، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

أرحّب بالحضور الكرام، والمستمعين، أحيّيكم جميعًا بتحيّة الإسلام:-

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اليوم نبدأ بالمرحلة الثالثة من المراحل، التي نتشاور فيها جميعًا، وهي: المرحلة التي تبدأ من صدور الأمر الإلهي، لسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، بضرورة الإنذار، وضرورة الصدع بما يؤمر، وهي: المرحلة التي يمكن أن تسمّى: بمرحلة الدعوة الجماعية.

المرحلة الثانية رأينا أنّه كانت الدعوة شبه فردية، ورأينا في تلك المرحلة، وقد قلت: الفاصل بين هذه المراحل، هي ليست قطعية ومتميزة مائة بالمائة، وإنّما نجد بعض التداخل، كتداخل ضوء الصبح بضوء شروق الشمس، لا نستطيع أنْ نقول مائة بالمائة، هذا ضوء الفجر تنفّس مائة بالمائة، لأنّ الفوارق ضئيلة جدًّا، وقليلة جدًّا، المرحلة التي تأتي تحتاج معالمها للظهور، حتى نستطيع أنْ نقول هذا هو الحد الفاصل بين هذه المرحلة، وهذه المرحلة.

لذلك هي تذوقات، بإذن الله تبارك اسمه نتذوقها من سيرة الحبيب صلوات ربي

وسلامه عليه وآله وصحبه أهل الطيب، ولا نطيل النقاش في هذه الأمور الشكليّة، هي أمور شكليّة، إنّما أنا دائمًا أؤكّد لكم:-

الاعتناء بالجانب التطبيقي، بالجانب الذي يعود بالثمر، والأجر، والثواب على المتكلّم، وعلى السامع، على الداعي، وعلى المدعو، وهكذا.

اخترت في المرحلة الماضية مثلا: سورة اقرأ، سورة المزمّل، وأضفت لها سورة الفاتحة، باعتبار أنّ تلك المرحلة، المرحلة الثانية هي كانت مرحلة إعداد، من قبل التشريعات من الله جلّ وعلا يتفاعل معها سيّدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام وطائفة، لأجل أنْ يعدو إعدادًا تامًّا كاملًا لما تقتضيه المرحلة القادمة، مرحلة الدعوة الجماعية.

الدعوة كانت فردية فعلا، مثلا: دعا زوجته -رضوان الله تعالى عليها- وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، دعا صديقه، دعا ابن عمه، تثبت وتحرّى عن الموضوع، هذه كلّها لأجل أنْ نتعلّم أساليب الدعوة إلى الله جلَّ في علاه، أنْ نتعلّم كيفية التحرّي عن الحقائق، وعمّا يلقي الله تقدّست أسماؤه في أرواحنا وقلوبنا من نكت، تعبّر عن عطاء الله جلَّ ذكره، وكرم الله عزَّ وجلّ، وفضل الله تبارك اسمه.

الآن مثلا حضرتك تريد أنْ تلتقي بشخص، وتذكّره بضرورة تقوى الله جلّ وعلا وتذكّره بضرورة الاستعداد للقيام بين يدي الخالق تقدست أسماؤه، أيّهما أولى: أنْ تذكّره وتتحدّث معه في مجلس؟ في غرفة استقبال فيها 30 ـ 40 شخصًا حتى خمسة، أو عشرة؟

أم تذهب إليه، وتجلس معه بانفراد، أو أنْ تدعوه إلى بيتك، وتقول له: أنا عندي موضوع مهم يا أخي الكريم، وتجلس تستحضر قلبك مع الله تبارك وتعالى،

تستحضر صدقك في إنقاذ هذا المدعو، وإخراجه من الظلمات إلى النور، بإذن الله جلّت صفاته الودود الغفور.

أيّهما أولى؟ أيّهما تعتقد سيكون أكثر أثرًا في نفسيّة المدعو؟

هذا في البداية هكذا، في بداية الدعوات انسجامًا مع سنّة الله عزَّ شأنه، في التدرّج في كلّ شيء، فكلّ شيء يبدأ ضعيفًا، يبدأ جزئية صغيرة ثمّ تكبر هذه الجزئية، أو يقوى هذا الشيء الضعيف.

فالفلّاح يلقي بذرة في الأرض، البذرة ضعيفة فيها حياة بالقوة، وليس بالفعل، ما معنى بالقوة؟ يعني: فيها مقوّمات الحياة، هذه البذرة ممكن أنْ تحيا، ممكن إذا لاقت الظروف التي يريدها الله جلَّ وعلا لحياتها تحيا، فإذن الحياة موجودة فيها. المناطقة في علم المنطق، يسمّون ذلك حياة بالقوة، أي في قوى هذه البذرة موجودة حياة، ولكن بالفعل غير موجودة، هي بذرة يابسة، يضعها الفلّاح تحت التراب، لكن لمّا تشُق، وتصدع الأرض، وتُخْرِج نفسها، صارت حيّة بالفعل، بالفعل الآن هي حيّة، نفس الشيء تقول: فلان كاتب بالقوة، وفلان كاتب بالفعل، بالواقع، كيف؟ مثلا: الآن فضيلة الشيخ -الله تعالى يحفظه ويحفظكم جميعا-، جالس عنده قوّة على الكتابة، عنده قدرة على الكتابة، لكن هو لا يمارس الكتابة الآن، فلا يقال له كاتب بالفعل، لا، لأنّ فعل الكتابة غير موجود، لكن يقال: كاتب بالقوة، يعني: له القدرة على الكتابة، لكن هو الآن غير مستخدم هذه القوّة.

إذن الخيرات، الإمكانات، القدرات المتوافرة في المجتمع بالقوّة، يجب أنْ نعمل على إظهارها بالفعل.

شخص كريم، عنده سخاء وكرم، إلى آخره، لكنّه لا يعرف الطريق لأجل أنْ يترجم هذه القوة الكرميّة إلى ضيافة، إلى مواقف إنسانية، إلى مؤسسات تخدم

الإنسان، فأنت تذهب، وتستخرج هذه الطاقات منه، لأجل أنْ توظّفها في واقع الأمر، هذا تدرّج.

اليوم نازل على الرسول صلّى الله تعالى وسلم عليه وآله وصحبه العدول، قول الله تبارك اسمه:ـ

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [سورة العلق:1 - 5]

ليس من المعقول أنْ يخرج إلى الناس مباشرة، ويصرخ بهم، وهو لحد الآن لم يلتقط أنفاسه، هو بشر عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، لقاؤه بالملأ الأعلى يحتاج إلى هدوء نفس، يحتاج إلى طمأنينة.

طيّب لا بُدّ أنْ يتحرّى، هكذا جعل الله سبحانه في فطرة الإنسان السويّ، وهل هنالك من القدرة الإنسانية الكاملة كقدرة سيّدنا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه؟ لا بل هو القمّة، وهو القدوة في كلّ كمال مقدور للإنسان، فبالتالي هو يريد أنْ يتثبّت من هذا الأمر، ويريد يبدأ الأساس بداية ركينة قويمة قوية، لأجل أنْ يُبنى عليها تماشياً وتفاعلاً مع سنّة التدرّج في الكون.

الله جلّ جلاله جعل هذه سنّة في الكون، قال عزّ شأنه:ـ

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا} [سورة النحل: 78]

لكن أعطاكم الوسائل التي بها ممكن أنْ تتعلّموا، ممكن أنت تترقوا، لكن هكذا خرجنا من بطون أمهّاتنا؟ نحمل شهادة دكتوراه؟ نحمل إجازات علمية؟ نحمل إجازة إرشاد؟ لا، أكيد تدرّج، وهكذا.

فمن مقتضيات التدرّج أنّ الدعوة الجماعية لا تنسجم مع سنّة التدرّج، لأنّه لن تكون الدعوة واضحة خاصة في تلك الظروف، أنا أقول، وأعيد مرّة أخرى،

وأذكّر حضراتكم، يجب أنْ نعيش ذاك العصر، وليس هذا العصر، أنا اليوم أمسك جهاز بيدي، وأتصل مع أحبابي، وهم يبعدون عنّي آلاف الكيلو مترات، أنا اليوم عندي سيارة، أشغلها خلال ساعة، أصل سرعة 120 كيلو مترا، أين هذا؟ وأين ذاك الظرف؟

فإذنْ قبل أنْ نبدأ الحقيقة اليوم بالمرحلة الثالثة، التي تبدأ من الصدع بالدعوة، وتكون الدعوة جماعية، وأسلوب جماعي إلى هجرة الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، حقيقة نحتاج إلى بعض المواعظ.

منذ جلسات وأيّام نعمل الحمد لله رب العالمين، الله جلَّ وعلا يوفقنا جميعًا، نتشاور أنْ نضع أسسًا، نتشاور عليها مستقبلا، إنْ شاء الله تقدست أسماؤه، على أمل أنْ نبدأ في الجانب التطبيقي، نفعّله أكثر، نخترق دون أنْ نحترق، بإذن الله جلّ في علاه.

طيّب، هذا العمل ينبغي أنْ يُترجم، لأنّه كلام الآن، ينبغي أنْ لا ينسينا ضرورة تقوية الصلة بالله جلَّ ذكره، وجعل هذا العمل طاعة لله تبارك اسمه، لذلك أرجو من حضراتكم، وأنصح، ولو للحظات صمت نعيشها الآن، نراجع نوايانا في هذا الحضور، لماذا أتكلّم هذا الكلام؟ ماذا نقصد؟ لماذا نجلس ونستمع؟ ما هي النية؟ فلا بُدّ أنْ نرجع للحظات صمت إلى تصحيح نوايانا: اللهمّ أنت مطلوبي، ورضاك مقصودي، لا بُدّ أنْ نتحقق من وجود بذور هذا الغرس الطيّب في أرواحنا، في قلوبنا، القلب هو مولد النوايا، فنرجع إلى قلوبنا، ونفتش عن هذه النيّة التي على الأقل نجسّدها بهاتين الجملتين:-

اللهم أنت مطلوبي، ورضاك مقصودي.

فعلى بركة الله جلّ وعلا.

الحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ اجعلنا من عبادك المخلِصين المخلَصين برحمتك يا أرحم الراحمين، وبجاه سيّد المرسلين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين.

النقطة الثانية التي ينبغي أنْ نعيد النظر فيها، ونتلّمس جذورها في قلوبنا، أنّنا نتحدّث عن شرع الله تقدّست أسماؤه فما هي مَدَيات معرفتنا بالله عزَّ وجلّ؟ حتى نزداد إنْ شاء الله جلّت صفاته طهرًا على طهرٍ، ونقاءً على نقاءٍ، وصفاءً على صفاءٍ، ولا تأخذنا النفوس الأمّارة بالسوء إلى مهاوي الهلاك والدمار، أو أنْ تسحبنا الأرض بجاذبيتها، فنتثاقل إليها، عياذًا بالله تعالى، أو حتى لا نغفل عن وساوس الشياطين، ينبغي أنْ نذكّر أنفسنا، نتذّكر دائمًا أنْ نحضر مع موضوع، عنوان كبير جدًّا، وهو عنوان: معرفة الله جلَّ وعلا.

يعني: أيّها الداعي، لمّا سرت مع الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب في هذه المفاصل من حياته الشريفة، في المرحلتين السابقتين، ينبغي أن تعمّق جذور معرفتك بالله سبحانه، الله عزَّ وجلَّ هو خالق الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، الله عزّ شأنه هو المتصرف بالحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، ليس فقط في الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، لكن في الكون كلّه، لكن نحن بمناسبة أنّنا نتشرّف بآثاره الشريفة، بسيرته المباركة، نقول هذا القول.

فأنت متشرّف بالحبيب عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، المحفوظ من الله عزَّ وجلَّ، المعصوم من قبل الله تبارك اسمه، المصطفى المختار عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الأخيار، من قبل الباري جلَّ وعلا.

انظر كيف أنّ الله سبحانه يحفظه، انظر كيف أنّ الله جلّ جلاله يربّيه، كيف أنّ

الله عزَّ شأنه يجعله منارًا للبركة، والخير، والسؤدد، وإخراج النّاس من الظلمات إلى النور.

طيّب أين جذور معرفتك بالله جلَّ ذكره في قلبك؟ الحقيقة بدون تتبع هذه الجذور، جذور هذا الأصل الأصيل، يصعب علينا أنْ نتحمّل القول الثقيل، قال الله تبارك اسمه:ـ

{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [سورة المزمل: 5]

نتحمل جزء من أعباء الدعوة إلى الله تبارك تعالى، إذا هذه المعرفة مهزوزة، ضعيفة، غافلين عنها، أَلهَتّنا الشهوات، غطّت معالمها، ومسامّها التي تؤدي إلى تعمّقها أكثر، إذا هذه المشاكل عندنا، الحقيقة يصعب علينا أنْ نجاهد أنفسنا، وهذه المشاورة هي ليست أبدًا لأجل طرح معلومات وأفكار، إنّما لتأسيس خطىً تؤدي بإذن الله جلّت صفاته:ـ

أولاً: بإخراجنا من الظلمات إلى النور، والإنسان مهما علت مرتبته في مراتب التقوى واليقين، هو دائمًا يحتاج أنْ يخرج من الظلمات إلى النور، فالمرحلة السابقة تعتبر مرحلة فيها نوع من الظلمة، بالنسبة للمرحلة القادمة، والمرتبة الأعلى، فلذلك قال الله تقدّست أسماؤه:ـ

{اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ} [سورة البقرة: 257]

بداهةً قد يأتي شخص، فيقول: أليس هؤلاء مؤمنين؟ هل هم في الظلمات؟ نعم، في الظلمات، لكن ليس في ظلمات الكفر، تجاوزوها، وليس في ظلمات الشرك، تجاوزها، والحمد لله، لكن ربما في ظلمات بعض الجهل بالله تبارك وتعالى، بمعرفة الله عزَّ وجلَّ ربّما في ظلمات، بالنسبة لمقامات القرب والأنس من الله تقدّست أسماؤه، يعني: بالضبط مثل واحد موظف في مرتبة، ثمّ رُقّيَ إلى مرتبة

أرقى، نعم، فعلا يرى أنّ المرتبة التي كان فيها ضبابية، فيها نوع من الظلام، بالنسبة للمرتبة الأعلى، وهكذا ولله المثل الأعلى قال الله جلَّ وعلا:ـ

{انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} [سورة الإسراء: 21]

يمكن أنْ يقال: هم في المرتبة الأعلى، أفضل من المرتبة التي قبلها، كأنّه كان فيها نوع من الظلمة، نوع من الضبابية، نوع من السحب الكثيفة، فإذنْ ينبغي علينا أنْ نتذكّر دائمًا، بأنّنا نتعامل مع الله جلَّ في علاه، نتعامل مع الله القائل:ـ

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [سورة يس: 82]

ينبغي أنْ نستذكر هذه المعرفة، أنْ ننظر إلى جذورها في قلبك، ليس مثل جذر الكرفس، بمجرّد أنْ تسحب ساقها تنقلع من جذورها، أم مثل جذور النخلة، والأشجار المعمّرة؟ أين هذه، وأين هذه؟ يبقى يحفر الإنسان حولها، ولا تهتز، ولا تتأثر.

نحتاج حقيقة، في هذه الانتقال من مرحلة الإعداد إلى مرحلة الدعوة الجماعية، باعتبار الدعوة الفردية فيها خير، وبركة، ونور، لكن لا تنسى أنّ هذا الدين لم يأتِ فقط لأسرة حضرة خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، ولا لعشيرته فقط.

طيّب إذا بقي على الدعوة الفردية، كيف ومتى سينشر الإسلام؟ كيف سيصل صوته؟ كيف يصدع بالأمر؟ قال الله جلّت قدرته:ـ

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [سورة الحجر: 94]

ومن معاني الصدع بالأمر، يعني: خذ الأرض طولا وعرضًا، شقّها فأنت مكلّف بأنْ توصل هذه الرسالة إلى كلّ بيت شجر، وحجر، ومدر، وشعر، ووبر.

اللهمّ صلِّ وسلّم وبارك على سيّد البشر وعلى آله وصحبه أهل الطهر.

أنت أيّها الداعي حسب إمكانياتك في هذا الوقت، المفروض توصل صوتك إلى أمريكا، إلى فرنسا، إلى روسيا.

طيّب: إذا تدعو واحدًا واحدًا متى ستنتهي، إذن هذه المرحلة الانتقالية، هذا المفصل، الذي ننتقل منه ومن خلاله، حقيقة نحتاج إلى هذه الوقفات، تمحيص النيّة، مراجعتها نوع من الفحص والتدقيق، تدقيق النيّة.

طيّب: هذه الأحكام، التي تسمع بها، هذه الأخبار التي تتلقّاها، هذه البركات التي وصلتك من خلال الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، حينما أوحى الله تعالى له هذه، من أين مصدرها؟ إلى أين تنتسب أنت؟ قال الله عزّ وجلّ:ـ

{--- وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ ---} [سورة آل عمران عليهم السلام: 79]

أنت منتسب إلى الربّ سبحانه، فنحتاج أنْ نفحص هذه الصفة، صفة الربانية، أين موضعها من قلبك أيّها الداعي؟ أقول: موجودة، والحمد لله ربّ العالمين.

طيّب: إلى أي درجة وصلت، في مدّ هذه الجذور في عمق روحك؟ أين في أرضية القلب؟ أم في سويداءه؟ أم في لبّه وجوهره؟ نحتاج أنْ نراجع قبل أنْ ننتقل إلى المرحلة المقبلة، لأنّ المرحلة المقبلة فيها ما فيها من تبعات، فيها ما فيها من تضحيات، إذا شخص قاعد، ويقول: أنا مسلم، وأصلّي، والحمد لله، حينما يخرج ألف دينار من جيبه يعطيه الفقير، يده ترتعش بخلًا، وحرصًا، وتمسّكًا بالحياة الدنيا، أين هذا ممّن يعطي كلّ ما عنده، لكن عنده معرفة بالله عزَّ وجلَّ، عنده معرفه بسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، فلمّا يسأل من باب أنْ نتعلّم، لا يسأل اتهامًا له، لا، إنما بيان الأتقى قال الله جلّ وعلا:ـ

{الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [سورة الليل: 18 - 21]

لكن هو، يعرف أنّه اسم الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، مقترن باسم الله جلّ في علاه فَيُجِيب: تركتُ لهم الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، قال الله تقدّست أسماؤه:-

{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [سورة الإنشراح: 4]

فلا أُذْكَرُ إلّا وتُذْكَرُ معي صلوات ربي وسلامه عليه.

سمعت من مُلّا إسماعيل في تكريت رحمه الله تعالى، هذا الرجل، العَلَم، الشّهم، الذي ترك بصمات قوية، سمعت منه أشياء كثيرة، من فمه الشريف إلى أذني، من ضمنها قال:-

حضرة الشيخ عبد الله رضي الله تعالى عنه زارنا في تكريت، يقول: يا حضرة الشيخ سعد الله، لحد الآن أنا متألّم، وألوم نفسي على التقصير، ودمعت عيناه حينما قالها، قلت: ما هذا التقصير يا فضيلة الشيخ؟ حاشاك من التقصير، قال: لم أفرش الطريق بالورود لحضرة الشيخ عبد الله قُدِسَ سرّه، قال: كان واجبا عليّ أنْ أجعل ورودًا في الطريق، أفرش الطريق له ورودًا.

فبمناسبة الأتقى، الذي أعطى كلّ ما يملك لله جلّت صفاته سمعت مُلّا إسماعيل رحمه الله تعالى قال:-

في قرية من قرى تكريت، أوّل بزوغ رؤوس الشياطين، الحركة المتطرفة، نعوذ بالله جلّ وعلا، التي كانت تمهّد لغزو العراق، جاء أحدهم، فصعد على المنبر في قرية صغيرة الحضور (40 - 50) شخص بالكثير، ناس فلاحين، بيوتهم متباعدة، عندهم جامع، صعد على المنبر، وابتدأ بالديباجة التي دائما يحرصون

عليها، وكأنّها لا تصح صلاة إلّا بها، ولازم يأتون بهذا الحديث، وهو قول النبيّ الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم:-

(كلُّ بِدعةٍ ضلالةٌ) الإمام مسلم رحمه المنعم سبحانه.

إلى آخره، قال: أمّا بعد أيّها المسلمون، هل تعلمون أوّل مشرك مَنْ هو في الإسلام؟ -ناقل الكفر ليس بكافر- فيجيب: أوّل مُشرك هو أبو بكر الصدّيق -رضي الله تعالى عن سيّدنا أبي بكر-، هذه سمعتها من مُلّا إسماعيل، لم يروِهَا لي أحد، يقول: المصلّون لم يصدّقوا، هل فعلًا قال ما قال؟ يمكن قال: أوّل مُنفِق في الإسلام، وليس أوّل مُشرك، لم يتبيّنوا بدقة، لكنّهم تجاوزوها، لماذا قال عن سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ذلك؟ لأنّه قال: تركت لهم الله ورسوله، هذا لا يجوز، لأنّه قرن الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، بالله جلَّ وعلا فهذا شرك، هذه تجاوزوها، لم ينتبهوا كثيرًا في بداية الخطبة، وكلّ واحد وحاله مع الله عزَّ وجلَّ، ومع مشاكل الحياة، بعد ذلك هكذا كلام لا يعقل، أنْ يقال على منبر خير الرجال صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، لا أحد يصدّق كيف تلفّظ بهكذا كلام؟ تجاوزوها على أنّهم لم يسمعوها بوضوح، أو لم يفهموها.

مرّة أخرى أردفها بقبيحة وجريمة ثانية، قال: أوّل مبتدع في الإسلام: عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-، لماذا؟ سيّدنا عمر بن الخطاب؟ قال: هو اعترف بنفسه، لمّا جاء، ووجد، ورأى وهم يصلّون التراويح، قال: نعمت البدعة هذه، فإذنْ هو أوّل مبتدع في الإسلام، يقول: لا والله هنا النّاس انتبهوا، عرفوا غاية الكلام، هناك رجل كبير في السنّ عمره بين السبعين والثمانين، جالس تحت المنبر، قوّى نفسه، الله -سبحانه وتعالى- أعطاه مددًا من عنده، غيرةً على صحابة

رسوله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه، لأنّ هؤلاء، مثل هذه الأفكار، عملة واحدة لوجهتين، النِحْلة القديمة، والنِحْلة الجديدة، كما سمّاهم أستاذ الجيل، مَنْ جدّد، أو أسّس للتجديد رضي الله تعالى عنه وعنكم، حضرة الشيخ عبد الله الهرشمي طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، هم وجهتان لعملة واحدة، الحمد لله الذي أرانا ذلك لأنّ هنالك ناسًا، كانوا يقولون: لماذا حضرة الشيخ عبد الله كثيرًا زاد على الجماعة؟ هم مساكين ـ حاشاه ـ كأنّهم يتهمونه، لكن الحمد لله الذي جعلنا نعيش، ونرى فعلا هاتين الوجهتين لعملة واحدة النِحلة القديمة، والنِحلة الجديدة، مع الفارق الظاهري، والمنافاة الظاهرية بينهما، لكن هم عملة واحدة، المهمّ هذا الرجل الكبير في السنّ، أخذته الغيرة على أصحاب رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم وآله وصحبه الميامين، قال: إذا سيّدنا أبو بكر مُشرك؟ وسيّدنا عمر مُبتدع؟ فماذا بقي لنا من الدِّين؟ إذا هؤلاء أوّل الخلفاء بعد حضرة خاتم النبيين صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين، هؤلاء الذين أمر الله سبحانه رسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم أنْ يقول للنّاس:-

(عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ) الإمام أبو داود رحمه المعبود جلّ وعلا.

سمّاهم راشدين، سمّاهم مهديين، ويأتي أحدهم، فيقول: من أين جئتم بكلمة مرشد، هذا النبيّ صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين، سمّى الخلفاء راشدين، مشتق من المرشد، والإرشاد.

يقول هذا الرجل: إذا هؤلاء هذا حالهم، فنحن كيف حالنا؟! هذا الرجل الكبير في السنّ، ومدّ يده على العقال، ونزعه من رأسه، ثمّ قال: كثيرًا من الجمع صلّينا، هذه لا لزوم لها، هكذا قالها مُلّا إسماعيل، نقلا عن الرجل المسنّ، ثمّ صعد على المنبر، وسحب هذا الشيطان، إمام الشيطان، هؤلاء الشياطين تقتدي بهم، وليس

هم يقتدون بالشيطان، ثمّ سحبه، وقال: رحم الله والديه مَنْ يحثّ التراب عليه، فبدأ النّاس يضربونه، بين لكمة وصفعة، بين ضربة من هنا، وضربة من هنا، أخرجوه من حرم الجامع، ثمّ قال: أقم الصلاة، وصلّوا صلاة الظهر، لا توجد جمعة، سبحان الله العظيم.

فإذنْ نحن حينما نريد أنْ ننتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى، لا بُدَّ أنْ نراجع نيّتنا، نراجع معرفتنا بالله تبارك في علاه، أيضًا ينبغي أنْ نستذكر نحن نقترب من ساحة الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، نقترب، وأنا أقصد هذه الكلمة، لا أقول: نحن -أستغفر الله- في ساحة الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه وسلّم، أَنّى لنا ذلك -عليه الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه أجمعين، نحن نقترب من ساحة الحبيب لمّا يقترب فهمنا.

إذنْ لأجل الانتقال إلى المرحلة الأخيرة، فيما اخترته من مراحل، وهذه ليست إلزامية، وهذه ليست لكلّ ما موجود في الشرع، نحن نتحدّث عن التأسيس لخطوة تجديدية، بإذن الله تبارك اسمه وبجاه خير البرية عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام اخترنا هذه الأزاهير، اخترنا هذه المعالم، اخترنا هذه الإضاءات، نتحاور عليها، ونتشاور عليها، ينبغي أنْ نعلم، أنّه فقهنا من المرحلة الثانية:-

ضرورة وجود مَنْ نقترب من ساحته في حياتنا الدعوية إلى الله عزَّ وجلَّ، وهو الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، وهو تعلقنا بحضرته بعد معرفة الله جلّت صفاته، معرفه الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم على ذاته وصفاته وآله وصحابته، الاقتراب من ساحته المباركة، إذا كان الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام يوصي المسافرين بقوله:-

(إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ) الإمام أبو داود رحمه الودود جلّ وعلا.

إذنْ كم هو هذا المَعلَم الذي على الأقل يشير إلى هذا المبدأ الإسلامي، كم هو ضروري أنْ يكون موجودًا في حياتنا، خاصة في حياتنا الدعوية؟ فالرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، أكّد في المرحلة الثانية هذا المبدأ، وهذا المَعْلَم تأكيدًا عظيمًا، وجليًّا واضحًا، بعد أنْ تحرّى وتثبّت، فقيل له: أنت رسول الله لمّا ظهر له بعد فترة الوحي سيّدنا جبريل عليه السلام وقال له هذا، ونزل ما يطمئنه، قال الله تبارك اسمه:ـ

{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [سورة الضحى: 3]

إذنْ: الآن هو المحور، الذي ينبغي أنْ ندور حوله، أنْ تدور حوله الأمّة الإسلامية، أنْ تتشبّث بأذياله الشريفة الطاهرة الزكية صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم.

فإذنْ هذا مبدأ ينبغي أنْ نؤكّد عليه، في المرحلة الثانية ظهر هذا المبدأ، أنّ هنالك واحدًا يجب أنْ يرجعوا إليه، يتعلّموا منه، يتباركوا به، يتنوّروا من نوره، يستفيدوا من توجيهه وإرشاده، ولا يصدروا عن شيء بغير إذنه، حتّى إذا أحدهم أصرّ على شيء.

سيّدنا الصدّيق رضي الله تعالى عنه أصرّ أنْ يعلنها مدوّية، يجعلها جماعية، لكن مع وجود سيّدنا الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه العدول، عملُ سيّدنا أبي بكر الآن لا يقتدى به، لأنّ الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلمّ استأذنه أوّل مرّة فلم يوافق، قال: أنا خائف عليك من المشركين، أنْ يؤذوك، أصرّ سيّدنا الصديق رضي الله تعالى عنه، ذهب، ولمّا جهر، ماذا فعلوا به، اقرأوا القصة، ضربوه، ثمّ ضربوه، حتّى ثارت قبيلته، ومَنْ يحترمون مكانة سيّدنا الصديق رضي الله تعالى عنه وطردوا المعتدين عنه، وحملوه لا

يشكّون في موته، صلّى الله تعالى وسلّم على سيّدنا رسول الله وآله وصحبه ومَنْ والاه، ورضي الله تعالى عن سيّدنا أبي بكر الصدّيق.

طيّب فإذنْ موضوع الإمارة، موضوع القدوة، موضوع المربّي، موضوع المرشد، لا يجوز كلّ واحد يذهب يمينًا أو يسارًا كما يشتهي، وكما يريد، لا.

يعني: أنا لديّ أكثر من مثال على بعض طلابي وأحبابي، لمّا دخلنا في معمعة الاحتلال نعوذ بالله جلّ وعلا، وظهرت دعوات هنا وهناك، أشكال وأنواع، وظهرت المناصب، وأوّل واحد عرض عليه المنصب الكبير خادمكم بدون أي تطلّع، ولا أي واسطة.

طيّب بدأت الدنيا تظهر، تحلو، تتزين، جاءوني، وقالوا: تفضّل غدًا باشر عملك وزيرًا للأوقاف، يا سلام من إمام وخطيب إلى وزير الأوقاف، يا سلام، هذه دنيا معسولة، وزير، وذاك الوقت الوزير والوزارة ليس مثل هذا الوقت الآن، الآن ليس لها أي قيمة، وليس لها أي مرتبة، ومع ذلك يتقاتلون عليها، لا، ذاك الوقت الوزير له هيبة، الواحد إذا مرّ من جانب غرفته يرجف، قبل أنْ يلقاه، المهم أين يذهب سعد الله؟ لا، سعد الله مرشد، وهو يعرف كيف يحصّن نفسه من التثاقل إلى الأرض، يحصّن نفسه من بروز أهداف وهمية، وثمرات وهمية، قشّية إنْ صحّ التعبير، قِشّ، زَبَد.

هو يستطيع أنْ يحصّن نفسه بإذن الله سبحانه، بل ويحصّن غيره من المخلصين الصادقين، الذين أرادوا أنْ يتحصّنوا، لأنّ الدنيا دار تكليف، أنا لا أجبر أحدًا، ليس دكتاتورًا، ولا جبّارًا في الأرض، الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، قيل له:ـ

{وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ} [سورة ق: 45]

فنصح، فمنهم مَن التزم بالنصيحة، ومشى مع هدي خير الخليقة صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، ومنهم مَنْ خالف، مساكين، فمنهم مَنْ فقد -نعوذ بالله تعالى- كثيرًا من تقواه، كثيرًا من دينه، ومنهم مَنْ فقده حياته، ومنهم فقد أسرته.

أحدهم يقول: هؤلاء شهداء، الله جلّ وعلا أعلم، الذي يفضي إلى الله عزَّ وجلَّ ما نكشف ستره، نتأدب بأدب الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم حيث قال:-

(اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ) الإمام أبو داود رحمه الله عزّ شأنه.

نترحّم على كلّ أموات المسلمين، أمّا أنْ نأتي ونقول عنهم جزافًا هذا، لا، نحن لا يوحى لنا حتى نقول: فلان شهيد، وفلان ليس بشهيد، هذه عند رب العالمين سبحانه.

فإذنْ موضوع وجود مَنْ تستند إليه، بدون إسناد لا يوجد سَيْرٌ مقبولٌ إلى ربّ العباد جلّ وعلا، قد تكون هذه الكلمة فيها شيء مقبول، لكن أستطيع أنْ أقول:- بدون إسناد، لا يوجد سيرٌ تامٌّ إلى رب العباد.

وإنْ كانت الكلمة الأولى مقبولة شرعًا، يعني أنت تأخذ بحكم، ليس فيه سند شرعيّ، وتطبّقه، هذا هل يقبل عند الله عزّ وجلّ؟ لا يقبل، الدين هو الإسناد.

فإذنْ المرحلة الثانية حقيقة برز فيها هذا المَعلَم على أَشُدِّه، الكلّ يؤول إلى الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، هذه من أسرار اختيار، ومن حكم اختيار دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله تعالى عنه، لماذا؟ لأنّ هذه جلسات إعداد كيف يستطيع أنْ يقوم بها في داخل الحرم؟ وقد قلت لكم هذا الكلام، داخل الحرم هناك موبقات، ومفاسد عقدية، وسلوكية، وأخلاقية متردية، لا تليق حتى بالحيوانات، أجلكم الله تعالى.

طيّب: كيف هذا النبع الصافي، كيف لهذه الروح الزكية أنْ تؤثّر في تلك الأجواء الموبوءة، ليس من الممكن، فاختيار الدار ليجلس فيها حضرة النبيّ المختار عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الأبرار، فيبثّ الخير والبركة والأسرار، هذا يأتي يجلس ويتعلّم يقولون إنّه كان يعلّمهم القرآن الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، نعم، أكيد.

لكن كم كان قد نزل من القرآن الكريم؟ لأنّك الآن حينما تسمع يا أخي المسلم القرآن الكريم، فتتصوّر أنّه ثلاثون جزء، لا، هو لم ينزل منه إلّا هذه الآيات الخمس، اقرأ، وبداية سورة أخرى، وكم آية من سورة.

لكن لماذا لا نقول كان يعلّمهم ويدارسهم ما نزل من القرآن الكريم، ويغذّي أرواحهم من أنوار قلبه الشريف الزاكي الذاكر، القلب الذي لا حظّ فيه للشيطان، القلب القائم بين يدي الرحمن سبحانه، القلب المنيب، القلب السليم له إشراقاته، له آثاره، لهؤلاء الذين جاؤوا، وهم عطشى لهذه الحقائق، فيزكيهم ويربيهم، ويؤنسهم، صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، ويخفّف ما يصيبهم من عناء، ويبيّن لهم معالم المستقبل، ماذا سيأتي.

فلذلك ترون لمّا شيئًا فشيئًا انتشر الخبر، نحن قلنا: لو كان سريًّا لا ينتشر الخبر بهذا الشكل، لو كان تنظيمًا سريًّا لبقي كذلك سنة، أو سنتين، ثلاث سنوات، وشخصان، ثلاثة ينظمون، أو أربعة، خمسة ينظمون، لا، سيّدنا الصدّيق رضي الله تعالى عنه يذهب فيتكلّم، وغيره، وناس يسكتون عنهم، وناس يعارضوهم.

إذنْ هو معلن، بل معلن قبل ذلك، بما كان تذكر من أخبار، وبما كانت تظهر من إرهاصات، إقبال سيّد السادات عليه أتمّ السلام وأفضل الصلوات وآله وصحبه ذوي الفضائل والمكرمات، في تشريفه للدنيا وللأزمنة والأوقات، لذلك كانت

هنالك رقاب دائمًا تترقب، وترنو وتشرأب، وهنالك آذان صاغية تسمع، هنالك قصص، وروايات، وأحلام، ومنامات تُبَث وتنشر.

بل هنالك صوارِخ أحيانا بأمر الله جلّ في علاه، صارخ يصرخ بأهل مكة، يسمعون صوت، ولا يرون شخصه، هذه كلّها تمهيد للإيمان بالغيب، للإيمان بالصفحة الغيبية في الكون، والذين يحاولون أنْ يطمسوا هذه المعالم الحقيقة، إنّما يؤسسون للقضاء على عقيدة الإيمان بالغيب.

فنحتاج إذنْ هذا اليوم إلى هذه الوقفة في التأكّد من إخلاص النيّة لرب البرية عزّ شأنه، البحث عن جذور معرفتنا بالله عزَّ وجلَّ، أنْ نستذكر بأنّنا نقترب من ساحة الحبيب المحبوب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أتقياء القلوب، نرى، ونتطلّع لمعرفة المعالم التي ظهرت في المرحلة الثانية، ومنها القدوة، الإمارة، الإمامة، الإرشاد، الربانية، ماذا تريد أنْ تسمّيها سمّها، المعنى واحد.

المهم أنْ يكون لك إسناد، أنْ يكون لك مرتكزًا، أنْ يكون لك متكئًا، متمتعًا بقوّة تستند إليها، أنت في دار الأسباب.

نعم، أنت مستند إلى قوّة الله سبحانه لكن في عالم الأسباب تحتاج إلى نقطة ترتكز عليها، وتستند إليها، وتتبارك بها، وتستمد منها، حتى بعد ذلك تستطيع أنْ تدخل إلى المرحلة المقبلة، المرحلة الثالثة، مرحلة الدعوة الجماعية.

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يفتح لي ولكم أجمعين، ويثبّتنا على طاعته، والتشبث بأذيال حضرة خاتم النبيّين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه الميامين.

اللهمّ ارزقنا حسن اتباع حضرة خاتم النبيين صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم في الأقوال والأفعال والأحوال يا ذا الجلال والإكرام.

وصلّى الله تعالى وسلّم وبارك على خير الأنام، ومصباح الظلام سيّدنا وحبيبنا

محمّد وآله وصحبه الكرام، والحمد لله ربّ العالمين.

سبحانك اللهمّ وبحمدك، نشهد أنْ لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

أستودعكم الله العظيم الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.